

واقع التفاعل الصفي داخل المدرسة الجزائرية

د. جابر نصر الدين

قسم علم النفس و علوم التربية

كلية الآداب و العلوم الاجتماعية

جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص :

تمثل المدرسة نقطة الالتقاء لعدد كبير من العلاقات الاجتماعية المتداخلة و المعقدة وتشكل المسالك التي يتخذها التفاعل الاجتماعي (المدرسي) والذي يمكن تحليله على أساس الجماعات المشاركة فيه.

و يعتبر السلوك التفاعلي داخل القسم (الصف) مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي ، و هو تبادل بين أفراد الجماعة أو بين فرد و جماعة ، يتركز على نشاطهم المتبادل و تدخلاتهم و ردود أفعالهم ويشكل وسيلة من وسائل اكتساب المعرفة و إنتاجها و إثارة الدافعية و المناخ الوجداني .

وهذه الدراسة محاولة لتشخيص واقع التفاعل الصفي من خلال الإجابة على التساؤلين التاليين: ما هي خصائص التفاعل الصفي في المدرسة الجزائرية اليوم ؟ و ما هي العوامل المؤثرة فيه ؟ .

من صفات الكائن البشري انه يرتبط مع الآخرين بعلاقات اجتماعية ، ومن الأفضل أن نسميها بالعلاقات البشرية بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية وهي التي تختلف عن مفهوم العلاقات الإنسانية و التي أصبحت متعارف عليها بالعلاقات الإيجابية . و وجود الجماعة الاجتماعية يعني بالضرورة وجود تفاعل اجتماعي بين أعضائها ، سواء كان ذلك في الأسرة أو المصنع أو الإدارة أو المدرسة ، بغض النظر عن حجم الجماعة و أسباب وجودها .

تعريف جماعة الصف (القسم) الدراسي

جماعة الفصل (القسم) هي مجموعة من التلاميذ و مدرس توطرهم علاقات عمل نظامية ، و تجمعهم أهداف مشتركة ، و تحدد العلاقة بينهم معايير و أدوار محددة .

و البعض يعرف الفوج الدراسي على انه شخصية معنوية لها غاية و تواجد و دينامية ، وتختلف هذه الشخصية عن مجموع أفرادها، غير أنها مقيدة بالعلاقة التي تربط بينهم جميعا (1) و يؤكد ليفين (LEWIN) أهمية الكل الدينامي للجماعة في قوله " من المسلم به في الوقت الحاضر أن الجماعة أكثر من مجموع الأعضاء المكونين لها أو هي تختلف تماما عن مجموع أعضائها " (2) . أي أن جوهر الجماعة يتركز بالأساس على العلاقات القائمة بين الأعضاء و الاعتماد المتبادل بينهم .

يتضح مما سبق أن القسم أو الصف هو جماعة اجتماعية لا يقتصر في دلالة على البعد العددي فقط بل يتعدى إلى مواصفات أخرى مثل البعد البيداغوجي والعلائقي الإنساني، و إن سلوك الجماعة ليس بالضرورة هو مجرد حاصل جمع سلوك أفرادها ، لان الجماعة متميزة عن الأفراد ، و التفاعل الاجتماعي بأبسط صورته هو عملية نفسية أثناء عملية التفاعل. التي تشمل الاتصال والمشاركة وإدراك الدور و الرمزية والتكيف الثقافي (3) .

وقد أضاف دتش (DEUTSCH) بعدا سيكولوجيا في تعريفه للجماعة بشكل عام بقوله " تتكون الجماعة الاجتماعية (يكون لها كيان) عندما يعمل الأفراد أو الأجزاء المكونة لها في تحقيق أهداف متبادلة . و تتكون الجماعة السيكلوجية ويصبح لها كيان عندما يدرك الأفراد المكونين للجماعة أنهم يسعون إلى تحقيق أهداف مشتركة " (4) و جماعة الصف المدرسي تستطيع أن تعمل على تنمية حاجة الفرد للتعلم ، كما تساعد على التفاعل مع زملائه في المواقف و الأنشطة المختلفة ، و تكسبه الاتجاهات والقيم و الأدوار الاجتماعية .

تعريف التفاعل الصفّي

هو مجموع أشكال و سيرورات و مظاهر العلاقات التواصلية بين مدرس وتلاميذ ، و يتضمن نمط الإرسال اللفظي و غير اللفظي ، كما يشمل الوسائل التواصلية و

المجال و الزمان ، و هو يهدف إلى تبادل أو تبليغ و نقل الخبرات و المعارف و التجارب و المواقف مثلما يهدف التأثير على سلوك المتلقي (5)

و يعتبر السلوك التفاعلي داخل القسم (الصف) و سيله من وسائل اكتساب المعرفة و إنتاجها و إثارة الدافعية و المناخ الوجداني، لذلك نادى بعض علماء النفس أمثال ماسلو و روجرز (ROGERS. C) بالمنحى الإنساني أي إيجاد مناخ تعليمي أو إرشادي أو إداري تسوده علاقات إنسانية و هذا المناخ يفسح المجال لتحقيق الأهداف وإشباع الحاجات .

و لقد وظف روجرز مبدأ سماه علاقة مساعدة relation d aide في المجال البيد اعوجي حيث شبه وظيفة المدرس بوظيفة المعالج النفسي ، أي انه يسهل التعلم الذاتي للتلميذ أو يبحث عن علاقة تواصلية تركز على مبدئين هما : الطبيعة الإيجابية للذات الإنسانية ، و قدرتها على تسيير نفسها بنفسها (6) .

ويعتقد البعض أن المنحى الإنساني يهدف إلى تحرير المعلم من برجه العاجي أو تخليصه من عقدة التفوق التي يشعر بها اتجاه طلابه ليجعله يدرك انه شريكا لهم و أنهم أصدقاء له (7).

ويقصد بالتفاعل الصففي عموما عملية تنشيط واقع الأفراد (التلاميذ) في موقف معين (القسم) مع تحقيق توازن بين إرضاء حاجاتهم و تحقيق الأهداف التعليمية المرغوبة .

والتفاعل الصففي في المدرسة يمكن تحليله على أساس الجماعات المشاركة فيه ، وأهم مجموعتين هما : مجموعة المدرسين و مجموعة المتدربين و لكل من المجموعتين عاداتها ونظامها و اتجاهاتها نحو المجموعة الأخرى .

خصائص التفاعل الصففي داخل المدرسة الجزائرية

سنحاول التطرق إلى أهم خصائص هذا التفاعل بناء على عناصر التصميم التحليلي الذي قدمه بلاك (BELLACK) و زملاؤه لتتبع التفاعل الصففي و بالتحديد

لتفحص السلوك اللفظي للمدرسين و فهمه و كذا تفاعلاتهم اللفظية مع التلاميذ (8) .
وهذه العناصر هي :

الهيكلية : أو البنية ويقصد بها الجهودات المقدمة من الطرف المدرسين و بصفة اقل من طرف المتعلمين أثناء عرض الدروس و شرحها، و هنا نسجل و بشكل عام أن المدرسين لا يقدمون لمحة أو نظرة شاملة عن طبيعة الدرس و موضوعه ، و التمسك أكثر بالجزئيات والتفصيلات ، و غياب الارتباط المنطقي بينها . علما بان البرنامج أو المنهاج

الدراسي يستمد هيكلته و تصميمه من بنية المادة الدراسية نفسها و ذلك من خلال تحديد أجزاء المحتوى ، ثم البحث عن العلاقة بين هذه الأجزاء . و من مبادئ تنظيم المادة منطقيا مبدأ التراتبية (الترتيب) الذي يقدم على أساس الانطلاق من البسيط إلى المركب ومن الملموس إلى المجرد .

و تعد هذه اللوحة تمهيدا للدرس و حافزا على متابعته و المشاركة فيه . كما يلاحظ أن التكرار (أو الإعادة) في عرض هيكلية الدرس لا تكون إلا في حالات معينة و عند الطلب . بالإضافة إلى قلة الأسئلة - من حيث العدد و التنوع - التي يطرحها المعلم أثناء الحث، وعادة ما تطرح بعد نهاية الدرس .

الحث : ويتعلق بتلك الجهودات المبذولة من اجل إثارة سلوك لفظي أو غير لفظي لدى مجموعة الصف ، و المتتبع لواقع التفاعل الصففي داخل مدارسنا اليوم يلاحظ أن مجهودات الحث تتخذ في الغالب شكل أسئلة تطرح من طرف المدرسين للتلاميذ ، أو تتخذ شكل إصدار أوامر لإنجاز واجبات مدرسية أو أنشطة تربوية .

و المدرس إذا أراد إثارة الدافع للتعليم داخل الصف ، عليه أن يوفر عمليات جماعية مثل :

- الاتصال السهل داخل جماعة الصف (القسم) .
- إشراك أفراد جماعة الصف في تحقيق الأهداف التعليمية و التربوية
- التقويم البيداغوجي الموضوعي للمتعلمين .

- تشجيع العمل الجماعي بين أفراد جماعة القسم .

- تشجيع روح المبادرة و تثمينها .

الإجابة : و المقصود بها كل أشكال الأفعال والتصرفات المتضمنة استجابات لمواقف الأسئلة أو الأوامر، و بما أن المدرسون هم الذين يحثون في الغالب فان الإجابة تصدر عموما من طرف التلاميذ ، و تكون الإجابة من طرف المدرسين نادرة في صفوف مدارسنا حيث تنحصر في وضعيات العجز و طلب المساعدة أو إزالة الغموض .

ونظرا للإكتظاظ الموجود على مستوى معظم أقسام مدارسنا اليوم يلاحظ ميل بعض التلاميذ للسيطرة على المناقشة ، مع وجود آخرين يحجمون عن الإجابة والمشاركة نهائيا . و ينبغي للمعلم أن يجعل النقاش عملية تعليمية منظمة ترمي إلى تحقيق هدف تعليمي لدى تلاميذ القسم جميعهم و ليس لدى مثري النقاش فقط .

ردة الفعل : و تمثل الأفعال و الأقوال الصادرة عن المدرس لتقييم أو تعديل أو تصويب إجابات التلاميذ ، و ما يمكن تسجيله على مستوى ردود الأفعال هذه وبشكل عام هو التركيز أكثر على تقويم الإجابات الخاطئة ، كما يصاحبها عادة ألفاظ جارحة و قاسية و استعمال التهديد والتجريح و المقارنات السلبية بين إجابات التلاميذ ، الشيء الذي يضعف من دافعتهم و تقلل من مشاركتهم داخل القسم ، وكان من الأجدى للتلميذ أن يزوده المعلم ببعض التوضيحات و الإرشادات نحو الجواب الصحيح و الوقوف على نقاط الضعف في الإجابات و تصويبها ، و توجه لمجموع تلاميذ القسم ، ولا يخص بها تلميذ معين .

التواصل الالفظي : يجب أن لا ننس بان المدرسين يتصلون كذلك بتلاميذهم بطرق غير لفظية أثناء الحث أو ردة الفعل . فقد يلجؤون إلى ابداء إيماءات أو حركات أو إشارات باليد أو بالرأس تكون في بعض المواقف التعليمية أكثر تأثيرا و وقعا من التواصل اللفظي .

وتشكل ردة الفعل يشقيها اللفظي و الالفظي تغذية راجعة توظف لصالح التلاميذ من جهة لمعرفة ما إذا كانت إجاباتهم صائبة أم خاطئة ، كافية أم غير كافية، مناسبة أم

غير مناسبة ، و لصالح المدرسين و المشرفين من جهة أخرى لتقييم العملية التدريسية بشكل عام . و بمعنى آخر فإن ردة الفعل عبارة عن تدخل بيداغوجي يحقق عدة أغراض كأن يكون تدخل للتقويم أو تدخل للدعم أو تدخل للتنشيط و الحث أو تدخلا وسيطيا ومساعدًا .

و لقد استعملت عدة وسائل و تقنيات لقياس و تقييم التواصل و أشكال التفاعل الذي يتم بين المعلمين و التلاميذ داخل القسم . و تعد منظومة فلاندرز لتحليل التفاعل التي وضعها (NED FLANDERS) واحدة من هذه الأدوات الصفية الأكثر انتشارا من حيث الاستعمال للملاحظة تفاعل المعلم اللفظي مع تلاميذه ، فهي وسيلة تغذية راجعة تقوم على ملاحظة السلوك و عد السلوك اللفظي للمعلم و التلاميذ ، لكون هذا السلوك حسب فلاندرز يمكن ملاحظته و تسجيله بدرجة عالية من الموثوقية (9) .

ولقد استفادة فلاندرز من تجارب سابقه حول الملاحظة العلمية لسلوك المعلم الصفية مثل اندرسون و وثول . كما نشير إلى وجود أدوات أخرى لملاحظة مجالات السلوك الصفية مثل : أدوات التفاعل غير الصفية ، أدوات المحتوى المنهجي ، أدوات الاتصال والتخاطب الإنساني الخ ...

العوامل المؤثرة على التفاعل الصفية :

1- تجانس أو تباين مجموعة الصف :

فلتجانس مجموعة التعلم و عدم تجانسها دور كبير في حدوث التفاعل الصفية ، ويرجع ذلك إلى الدرجة الفروق الفردية بين أعضاء مجموعة القسم و بخاصة اختلاف اتجاهاتهم و عاداتهم و قيمهم و بيئاتهم الاجتماعية و الاقتصادية و دافعيتهم للتحصيل وقدراتهم العقلية .

2- البيئة التعليمية للقسم :

و لها دور فعال في عملية التعلم نفسها و في الصحة النفسية للمتعلم ، و تتكون هذه البيئة من شق مادي يشمل المقاعد و الجدران و الأبواب والتجهيزات و الوسائل التعليمية

الضرورة و طريقة الجلوس... الخ ، و شق نفسي- اجتماعي و ينطوي على مدى تقبل المتعلمين لبعضهم البعض و تقبلهم للمعلم و مدى تقبل المعلم لهم و طرق التعامل معهم .

3 - خصائص المعلم :

يتأثر التفاعل الصفّي باختلاف خصائص المعلمين من حيث خبرة و كفاءة و مستوى تكوين هؤلاء المعلمين ، و اتجاهاتهم و قيمتهم و دافعيّتهم للعمل و حسن قيادتهم لجماعة الصف و ضبطها .

4 - طرق التدريس :

بقدر ما يستخدم المعلم طرق تدريس متنوعة و فعالة و مناسبة لخصائص المتعلمين و محققة للأهداف التعليمية و التربوية بقدر ما يزيد مستوى التفاعل الصفّي الإيجابي .

5- حجم مجموعة القسم :

إن الحجم (عدد) الجماعة في القسم تأثيرات عديدة على التفاعل الصفّي ، فقد تتزايد فرص الاحتكاك بالآخرين و اكتساب المعارف و تعديل الاتجاهات بزيادة حجمها، ولكن التجارب الميدانية أثبتت انه كلما زاد حجم الجماعة فان حجم الوقت متاح لكل عضو للمشاركة في أنشطة الجماعة يتناقص (10)

فجماعة الصف الصغيرة في العدد تستفيد أكثر من الجماعة الكبيرة العدد من حيث توفر فرص المشاركة و التفاعل الصفّي ، كما يستطيع المدرس التعرف على طلابه بسهولة فيصبح بإمكانه أن يوجه تلاميذه وفق مستوياتهم و رغباتهم ، و أن يخصص لكل واحد منهم وقتاً أوفر .

6 - طبيعة العلاقة البيداغوجية :

تعرف العلاقة البيداغوجية relation pédagogique : على أنها تعاملتفاعلي يتم بين أفراد (مدرس ، تلميذ) يوجدون في وضعية جماعية ، وهي بنية و نظام متعدد المكونات و العناصر هي : مدرس ، تلميذ ، موضوع التعلم ، وضعية في الزمان والمكان ، شبكة تفاعلات و علاقات و توقعات (11) . و لهذه العلاقة عدة تصنيفات نذكر منها :

الذي يميز فيه بين أربعة أشكال من العلاقة و هي :

- العلاقة التي يكون فيها فعل المدرس متمركزا حول ذاته بحيث يحدد دور هذا الأخير

في نقل المعرفة .

- العلاقة التي يتمركز فيها العمل التعليمي حول التلميذ ، وفيها يكتفي المدرس بإعادة

بناء المعرفة و القيام بدور المرشد و المنشط .

- العلاقة التي يؤدي فيها المدرس دور المحفز catalyseur إذ يسهل سيرورة التعليم

- الستعلم من غير أن يوجهها أو يشارك فيها و يستجيب لطلبات التلميذ .

- العلاقة التي يصبح فيها المدرس متعلما .

تصنيف سلسلة علوم التربية و يتم فيه التمييز بين نمطين عامين من العلاقة و هما :

- علاقة تدرج ضمن النموذج التربوي التقليدي و من مميزاتها :

مركزية المدرس و امتلاكه و ممارسته لسلطة شبه مطلقة و هو مصدر المعرفة ،

و التلميذ فيها مجرد طرف سلمي متلقي للمعرفة و تمارس عليه سلطة المدرس ، والتفاعلات

في هذه العلاقة ذات اتجاه و حيد أي من المدرس إلى التلميذ .

. علاقة تربوية تدرج ضمن النموذج التربوي الحديث و من مميزاتها :

. أن التلميذ (فردا أو جماعة) هو مركز فعل التعليم - التعلم .

. المدرس يقوم بدور الموجه أو المرشد .

. المعرفة ناتجة عن نشاط التلميذ و مرتبطة بانشغالاته و ليست صادرة عن المدرس .

. والتفاعلات فيها تكون عامة وشاملة ، أي ننم بين التلاميذ في اغلب

الأحيان و بينهم و بين المدرس (12) .

ويشير ديفز DAVIS إلى مفهوم العلاقات الإنسانية بأنه يقوم على التفاعلات بين

الأفراد حيث يتجمعون في تشكيلات لتحقيق أهداف محددة و هو تكامل الأفراد في موقف

معين يدفعهم إلى العمل معا بشكل منتج و متعاون بحيث تحقق المصالحة بين أهداف الفرد (أسرة المدرسة) و بين مصلحة المؤسسة التعليمية (13) .

و من البديهي أن يتعرض المتعلم داخل غرفة الصف (القسم) إلى موقفين إحداهما أكاديمي المرتبط بالمباحث العلمية و المقررات ، و الموقف الآخر غير أكاديمي الذي يتألف من القيم و الميول والاتجاهات و الضبط الذاتي و النظام و أساليب التعامل مع الآخرين . وهذه لا يستطيع المتعلم أن يكتسبها إلا إذا تمثلها و تعايش منها وقام بممارستها مع المعلم و مع زملائه و مع الإدارة المدرسية . الأمر الذي يزيد من مستوى التفاعل الصفّي و من الاتجاهات الموجبة إزاء التعلم، و هي من مؤشرات الرضى عن المدرسة .

7- المادة الدراسية :

لطبيعة المادة الدراسية دور في تحديد مستوى التفاعل الصفّي . إذ نرى ميل بعض الطلاب وزيادة اهتمامهم نحو مواد معينة أكثر منه لمواد أخرى ، الشيء الذي ينعكس على مستوى التحصيل عندهم . و من ثم على مستوى تفاعلهم الصفّي .

الهوامش :

- (1) مصطفى بن حبيلس إدارة القسم و تنشيط الأفواج - سلسلة من قضايا التربية الملف 21 - الجزائر : المركز الوطني للوثائق التربوية 2000 ص 13 .
- (2) محمود حسن .مقدمة الخدمة الاجتماعية.الكويت : منشورات ذات السلاسل. ص 412
- (3) حسن عمر منسي . ديناميات الجماعة و التفاعل الصفي .عمان : دار طارق للنشر و التوزيع 1998 ص 32 .
- (4) محمود حسن . مرجع سابق . ص 412
- (5) عبد اللطيف الفاربي و آخرون . معجم علوم التربية - مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك - بيروت : 1994 ص 44 .
- (6) عبد اللطيف الفاربي و آخرون . مرجع سابق . ص ص 256/ 285 ..
- (7) حسن عمر منسي . إدارة السقوف . اريد - الأردن : دار الكندي للنشر و التوزيع 2000 ص 38 .
- (8) عبد القادر ميسوم . تحسين الأداء التربوي والفعالية لدى المدرسين. ص ص 71/70
- (9) محمد زياد حمدان . أدوات ملاحظة التدريس . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1986 ص 105 .
- (10) حسن عمر منسي. ديناميات الجماعة و التفاعل الصفي. مرجع سابق ص 51
- (11) عبد اللطيف الفاربي و آخرون . مرجع سابق . ص ص 256/ 285 .
- (12) عبد اللطيف الفاربي و آخرون . نفس المرجع : ص 186.
- (13) احمد إبراهيم احمد ، العلاقات الإنسانية في المؤسسة التعليمية ، الإسكندرية : دار الوفاء لنديا للطباعة و النشر 2001 ص 62 .